﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾ [المؤمنون: 92]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقال من الدَّعوى إلى ذِكْرِ دليلِها وبُرهانِها

لمّا قرّرتِ الآيةُ السّابقةُ نفيَ اتّخاذِ اللهِ ﷻ الولدَ، ونفت وجودَ الشّريك بالبُرهان العقليّ، ثمّ كان ختامُها تنزيهًا لله عن كلّ وصفٍ لا يليق بذاته العَليّة، فأقامتِ الأدلّةَ على كماله وجَلاله؛ ناسبَ أن يأتيَ عقبَ ذلك قولُه تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ ليُقيمَ دَليلًا آخَرَ على كَمالِهِ[1]؛ فهذه الآيةُ بمثابة الدَّليلِ على المُتَقدِّم، والبُرهانِ على السّابق.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾: (غيب) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على تَسَتُّرِ الشَّيْءِ عَنِ العُيونِ؛ مِنْ ذَلِكَ: الغَيْبُ: ما غابَ، مِمّا لا يَعْلَمُهُ إلّا اللهُ، ويُقال للشّيء: غَيْبٌ وغائِبٌ باعتباره بالنّاس لا بالله تعالى، فإنَّه لا يغيب عنه شيءٌ، كما ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: 3]، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أيْ: يعلم ما يغيبُ عنكم وما تشهدونَه، فلا يَخْفى عليه شَيْءٌ من أحوالِكم؛ فاحْذَروا جَزاءَهُ يَوْمَ تَنْقَطِعُ الأسْبابُ[2].

2) ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: (شهد) أَصْلٌ يَدُلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعْلامٍ، لا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُروعِهِ، ومِنْ ذَلِكَ الشَّهادَةُ؛ فهي تَجمع بينَ الحُضورِ، والعِلْمِ، والإعْلامِ، وقوله: ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أيْ: ما يشهده الخَلْق؛ فهو تعالى يعلمُ ما غابَ عن عبادِه، وما يُشاهدونه؛ فلا يغيب عن علمِه شيءٌ[3].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 180.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، والسّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (غيب).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، والسّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (شهد).

3) ﴿فَتَعَٰلَى﴾: (علا) أصلٌ يَدُلُّ على السُّموِّ والارْتِفاعِ لا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ، وعَلا، يَعلو، عُلوًّا، فهو عالٍ وعَلِيٌّ، والمفعول معْلُوٌّ، وعلا الشَّخصُ، وعلا الصّوتُ: ارتفع، وعلا فوق الماء: طفا، وعلا فوقَ السّحاب: ارتفع، ومعنى العُلوِّ ضدّ السُّفْلِ، وهو العَظَمةُ والتّجَبّر، وهو لله - جلَّت صفاتُه - رفعةٌ وتشريفٌ، ومن هذا الفعل صفةُ ﴿ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرّعد: 9]؛ أيْ: عُلوّ أمرِه وصفاتِه، وقولُه: ﴿فَتَعَٰلَى﴾ من التّعالي؛ وهو الارتفاع، وفيه مبالغةٌ في العُلوّ، وتنزيهٌ عمّا لا يليق، فالعُلوُّ كمالٌ، وضدُّه نقصٌ[1].

4) ﴿يُشْرِكُونَ﴾: (شرك) أصلٌ يَدُلُّ على مُقارَنَةٍ، وخِلافِ انْفِرادٍ، وهو الشِّرْكَةُ؛ وهوَ أَنْ يَكونَ الشَّيْءُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، لا يَنْفَرِدُ به أَحَدُهُما، وأَشْرَك بِاللهِ: جَعَلَ لَهُ شَريكًا، والاسْمُ الشِّركُ، والمعنى هاهنا: تعَظّم اللّهُ عَمّا يشركونَ، ومَعْناهُ: أَنّه أعظم من أَن يوصَف بِهَذا الوَصْف من اتّخاذ الولد، والحاجةِ إلى الشّريك[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عِلمُ الله يُحيطُ بكلِّ شيءٍ وعُلوّه على كلّ مظاهرِ الشّركِ

تُقَرّرُ الآيةُ الكريمةُ أنّ اللّه تعالى عالمٌ بما غاب عن خَلْقِه منَ الأشياءِ، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه، وكذلك هو عالمٌ بما رأوه وشاهدوه؛ وذلك لإحاطته بكلِّ شيء عِلْمًا، فالآيةُ خبرٌ عن هؤلاء المشركين الذين قالوا: اتّخذَ اللّهُ ولدًا، وعبدوا من دونه آلهةً، فهي تُقرّرُ خطأهم فيما يعتقدون ويقولون ويفعلون، فإنّهم يقولون عن جهلٍ منهم به، وإنّ العالمَ بقديمِ الأُمور وحديثِها، وشاهدِها وغائبِها؛ هو اللّهُ الذي لا يخفى عليه شيءٌ، فخبرُه هو الحَقّ دونَ خبرهم، ثمّ جاء ختامُ الآية بتقرير عُلوّ اللّهِ وارتفاعِه عن شِرْكِ هؤلاء المُشركين ووصفِهم إيّاهُ بما يصفون[3].

(1) الزّجّاج، معاني القرآن: 4/ 20، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات: (علو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب: (شرك).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 102.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

تَعدُّد القراءاتِ وثراءُ المعنى على كلّ قراءةٍ:

تـنـوعُ الـدّلالـةِ وزيـادةُ الحُجج لإثـبـاتِ صفةِ العِلْمِ لله ﷻ

ورد في قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ قراءتان؛ فقرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وحفصٌ عن عاصم، وابنُ عامر ويعقوبُ: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بالجرّ، وقرأ نافعٌ، وشعبة، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وخَلَفٌ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾، بالرَّفع، واختُلِف عن رويس عن يعقوب عند الابتداء: فمرة يبدأ بالجرِّ، ومرّة يبدأ بالرفع[1]، فعلى الوجه الأوّل تكون ﴿عَٰلِمِ﴾ صفةً مجرورة للاسم الجليل، أو بدلًا منه، قال الطَّبرسيُّ: على الجَرِّ صفةٌ، والإضافةُ حقيقيّةٌ على معنى اللّام، ويجوز أن تكون بدلًا؛ فتكون الإضافةُ غيرَ حقيقيّةٍ، ورجّحَ الزّمخشريُّ والشّهابُ وجهَ الصّفة؛ لأنّه أُريد به الثّباتُ والاستمرارُ، فيُعَرَّفُ بالإضافة، ولم يذكرِ ابنُ الأنباريِّ إلّا البدلَ، وأمّا على الوجهِ الآخرِ - وهو الرّفعُ على الاستئنافِ - فـ ﴿عَٰلِمُ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتّقديرُ: هو عالمُ الغيبِ، وهو الرّاجحُ عند أكثر الكوفيّين والبَصريّين كما قال النّحّاسُ، واستجادَ الأخفشُ الجرَّ؛ ليكونَ الكلامُ على وجهٍ واحدٍ[2]، ولكلِّ قراءةٍ منَ القراءتيْن من بديعِ المعنى ما لا تُؤَدّيه القراءةُ الأخرى؛ فأمّا على قراءة الجرِّ ﴿عَٰلِمِ﴾ فالإضافةُ فيه حقيقيّة؛ وتُفيدُ معنى الثّباتِ والاستمرارِ في تدعيم الحُجج السّابقة في الآية قبلَها، وأمّا على قراءةِ الرّفعِ ﴿عَٰلِمُ﴾ فتصبحُ الجملةُ الكريمةُ دليلًا آخرَ مُستقلًّا على الوحدانيَّة، بواسطة مقدّمة أُخرى، كأنّه قيل: اللّهُ عالمُ الغيبِ والشّهادة، وغيرُه لا يعلمُهما؛ فغيرُه ليس بإلَهٍ[3]، وبلاغة الفصل في القراءتين بادية؛ فعلى قراءة الجرِّ بين الجملتين كمال الاتصال،

(1) ابن الجزري، النشر: 2/329، والآلوسيّ، روح المعاني: 18/ 134، والخطيب، معجم القراءات: 6/ 202. والآلوسيّ، روح المعاني: 18/ 134.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 102، والخطيب، التّفصيل: 18/ 116 - 117.

(3) الجمل، الفتوحات الإلهيّة على الجلالين: 4/ 255.

وعلى قراءة الرفع بين الجملتين شبه كمال الاتصال، ومن رفع ابتداءً وجرَّ وصلًا فإنما أراد تأكيد هذه العلاقة البلاغية بين الجملتين.

معنى التّعريف في ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾:

استغراقُ كلِّ غيبٍ وكلِّ شهادةٍ في عِلْمِ الله تعالى

التَّعريف في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ للجنسِ المُفيد معنى الاستغراق؛ وذلك لإرادة عُموم العِلْم وإحاطَتِه بِكُلِّ شَيْءٍ؛ فأفاد التّعريف معنى الاسْتِغْراقِ الحَقيقيِّ؛ أَيْ: عالِمُ كُلِّ مَغيبٍ وكُلِّ ظاهِرٍ لِدَفْعِ تَوَهُّمِ أَنْ يُقالَ: إنَّ اسْتِقْلالَ كُلِّ إلَهٍ بِما خَلَقَ قَدْ لا يُفْضي إلى عُلوِّ بَعْضِ الآلِهَةِ على بَعْضٍ؛ لِجَوازِ أَنْ لا يَعْلَمَ أَحَدٌ من الآلِهَةِ بِمِقْدارِ تَفاوُتِ مَلَكوتِهِ على مَلَكوتِ الآخَرِ، فلا يَحْصُلُ عُلوُّ بَعْضِهِم على بَعْضٍ؛ لِاشْتِغالِ كُلِّ إلَهٍ بِمَلَكوتِهِ[1].

بلاغة الطّباق في ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾:

إحاطةُ عِلْمِ اللهِ بكلّ شيءٍ تأكيدٌ لأُلوهيّتِه وتعاليه

جاء الطّباقُ بينَ الغيبِ والشّهادةِ في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ ليَلْفِتَ الأذهانَ إلى عظيمِ قُدرةِ الله تعالى وعلمِه، وأنّه سبحانَه مُختَصٌّ بعِلْمِ الغيبِ والشّهادةِ، فغيرُه وإن عَلِمَ الشّهادةَ فإنَّه لم يعلم الغَيب؛ لأنّ الشّهادة لا يتكاملُ بها النّفعُ إلّا مع العِلْم بالغيب، وذلك كالوعيد لهم[2]، وفائدةُ الجمعِ بينَ الغيبِ والشَّهادةِ بيانُ الإحاطةِ والاستيعاب لكلِّ ما يدخل تحتَ لواءِ هَذَيْن اللَّفظَيْن.

دلالةُ التَّرتيب في ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾:

ما اختصَّ بالله تعالى قُدِّم لتأكيدِ أُلوهيّتِه وتعاليه عن الأندادِ

قُدِّم لفظُ ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ على لفظِ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ لبيانِ أنَّ إحاطةَ عِلْمِ اللّه تعالى بكلّ ما في الوجود في السّرّ والعَلَن واحدٌ على أبلغ الوجوه وأشدّها تأكيدًا، فإذا كانت الآلهةُ المزعومةُ للّه تعالى قد تُحيط ببعض عالَم الشّهادة؛ فإنّ عِلْم ما في عالَم الغيب مقصورٌ على اللّه وحْدَه دونَ غيره، فعِلْمُه ﷻ أزليٌّ لا تفاوت فيه، وذلك على غير المعهود في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 115.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 14/ 251.

عالَم البَشَر؛ لذا فقدِ ابتدأ بهِ النّظمُ الحكيم للتّدليل على فائقِ عِلْمه وقُدْرَته، كما أنّ النّفس قد تستشرف عِلْمَ الشّهادة، ولكنّ استشرافَها لعِلْم ما في الغيب أشَدّ؛ فنبَّهَ بالتّقديمِ على ما فيه خصوصٌ به ﷻ.

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾:

عُلوُّ اللهِ تعالى بتوحيدِه في ألوهيّته وصفاته

عطفَ النّظمُ الحكيمُ في هذا الموضع جملة ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالفاء، وقد تعدَّدت أنظارُ المُعربين في معنى الفاء على ثلاثة أقوال؛ **الأوّل**: أنّها عاطفة للجملة على معنى ما تقدّم، **والثّاني**: أنّها استئنافيّةٌ، **والثّالث**: أنّها تفريعيّة[1]، وهي على التّقديرات كلِّها تُؤكِّد تنزيهَ اللهِ ﷻ عمّا أحدثَه هؤلاء المُعاندون منَ الأوصاف التي لا تليق بذاته، فكان مجيءُ الفاء إيذانًا بأهميّة التّعقيب السّريع على أقوالهم وادّعاءاتهم؛ فهو سبحانه مُتعالٍ عن إشراكهم، فلم يتّخذ ولدًا، ولم يكن له شريكٌ في خَلْقه أو مُلْكه، فعطفت الفاءُ معنى التّنزيه والتّعالي على ما تقدّم من الآيات والحُجج؛ فكانت تعقيبًا بليغًا، ونتيجةً مُترتِّبة عليها؛ فكأنّه قال: عَلِمَ الغيبَ فتعالى؛ كقولك: زيدٌ شجاعٌ فعَظُمت منزلتُه؛ أيْ: شَجُعَ فعَظُم، أو يكون على إضمار القول؛ أيْ: أقول فتعالى الله[2].

دلالة التّعبير بالماضي:

تفرُّدُ اللهِ بالتّعالي والعَظَمةِ منذ الأَزَلِ

آثرَ النّظمُ الحكيمُ إيرادَ الفعلِ ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ بصيغةِ الماضي لبيانِ اتّصاف الله ﷻ بتعاليه وعَظَمتِه منذ الأَزَل، فلم يكتسب سبحانه صفةً من صفاته عمومًا في زمنٍ لاحقٍ؛ بل هو ﷻ على ما عليه كان قبلَ أن يخلُق الخَلْق، وقبلَ أن يُعانِدَ المُعاندون، أو يُكذّبَ المُكَذّبون، فأورد سبحانه الفعلَ بصيغة الماضي الدّالَّة على الانقطاع المُطْلق؛ لتأكيد تَفَرُّده بالعُلوّ وحْدَه سبحانَه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 115، والخطيب، التّفصيل: 18/ 117.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 14/ 251.

معنى حرفِ الجرّ في: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

دلَّ استعمال حرف (عَنْ) في قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ على معنى المُجاوزة، فأسهمَ في تأكيد الابتعاد عن كلّ مظاهر الشِّرك والتّكذيب التي ادّعاها المُكَذّبون.

نوع (ما) ودلالتُها في ﴿عَمَّا﴾:

شمولُ التّنزيهِ بـ (ما) كلَّ شِركٍ في حقّ الله ﷻ

آثَرَ النّظمُ الحكيم استعمالَ (ما) في قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ لسعة دلالتِها؛ فهي إمّا اسم موصول؛ فيكون المعنى: (تنزّه اللّهُ وتباعد عن المعنى الذي أشركوا به)، وإمّا مصدريّةٌ؛ فيكون المعنى: (تنزّه اللّهُ وتباعد عن إشراكهم)[1]، فأفاد التّقديران نفيَ كلِّ إشراكٍ في حَقِّ البارئ ﷻ من قولٍ باللّسان أوِ اعتقادٍ بالقَلْب، ولعلّ التّقدير بالمصدريّة أبلغُ منَ التّقدير بالاسم الموصول؛ ليُفيدَ كلَّ مظاهرِ الإشراك التي سبق أن نقضَتْها الآيةُ السّابقة، أو مظاهرِ الإشراك الأُخرى التي لم تَرِد فيها.

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

تعالى اللهُ عن كلّ مظاهر الإشراك في الزّمانِ كلّه

جاء النّظمُ البليغ في نهاية الآية بالفعل المضارع ﴿يُشْرِكُونَ﴾، والإشراك: هو أَن يجعل لله شَريكًا في رُبوبيّته، والمعنى هاهنا: أَنّه أعظمُ من أَن يوصَف بِهَذا الوَصْف، منِ اتّخاذ الولد والحاجةِ إلى الشّريك[2]، وقد آثَرَ النّظمُ الحكيمُ صيغةَ المضارع؛ للدّلالة على تنزُّهه ﷻ عن هذه الفِريَة في الحال والاستقبال، كما هو مُنزَّهٌ عنها في الماضي؛ بدليل ما سبق في الآية الكريمة من دلائلَ عقليّةٍ بُرهانيّةٍ، كما جاء هذا الاستعمال الدّقيق ليُشيرَ إلى أنَّ إشراكَ الكفّار المُعانِدين لن يتوقَّف عند زمنٍ بعينه، طالما استمرَّ الكفّار المعاندون في إفكهم وضلالهم.

(1) الخطيب، التّفصيل: 18/ 117.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب: (شرك)، والسّمعانيّ، تفسير القرآن: 3/ 488.

غرض حذف مُتعلّق الفعل:

إفـــادةُ عـمـومِ تنزيه الله بنفي كـــلِّ إشـــراك مُتصَوَّر

جاء ختام الآية بالفعل ﴿يُشْرِكُونَ﴾؛ فحُذِف المفعولُ به، إذِ الأصل: (يُشركونه)، أو (يُشركون به)، وقد حُذِف المفعولُ به لإرادة العموم لتنزيه اللّهِ تبارك اسمُه عن كلِّ إشراكٍ، فلم تُحَدّد الآيةُ مَناطًا مُعيّنًا للتّعالي، فشَمِلَت كلَّ مظاهر الإشراك التي جاءت في الآيات السّابقة، وتتّسِع كذلك لتشملَ كلَّ ما لم يُذْكَر فيها.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»